أسس ومنطلقات الحجاج التأثيري
في التراث الغربي القديم

الدكتورة شمس الضحى مراكشي
الطالب الباحث زوهير إروى
مختبر اللغة والأدب والترجمة
جامعة سيدي محمد بن عبد الله
الكلية المتعددة التخصصات، تازة
المغرب

مقدمة:

الحمد لله حمدا يليق باسمه وصفاته، خلق الإنسان وعلّمه ما لم يعلم، وأنزل القرآن بلسان عربي مبين، فكان معجزا للإنس والجن، والصلاة والسلام على خير من نطق الضاد نبيّنا المصطفى الأمين، عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام، أما بعد:

تلامس هذه الورقة لونا حجاجيا يعد من أبرز الوظائف الضرورية للتواصل بين الناس؛ لأن الكلام أساسا إما أن يقوم على الإقناع أو التأثير العاطفي والوجداني، وكلاهما جانبان يُسيّران حياة الإنسان وسلوكاته، ولعل انشغال الفلاسفة بالجانب الانفعالي له ما يبرّره، فالقلب بؤرة التأثير ومكمن الإحساس الذي تستقر فيه جميع الانفعالات كيفما كان نوعها. وعليه فإن الحجاج التأثيري يستهدف بشكل أعمق أكثر مما يستهدف العقل.

سنسعى في هذه الورقة للكشف عن مراحل تطور الحجاج التأثيري في الفكر الغربي القديم من خلال الوقوف عند أهم أسسه ومنطلقاته، حيث تعود جذوره الأولى للفكر اليوناني خلال القرن الخامس قبل الميلاد، وتُنسب أولى محاولات الحجاج التأثيري في غالب الأحيان لأرسطو، لكن للسفسطائيين دور بارز في إرساء دعائمه، ووضع أولى لبناته من خلال محاوراتهم مع خصومهم الذين تزعمهم أفلاطون، ولإدراك هذا اللون الحجاجي بشكل واضح ارتأينا أن نتتبع ملامحه الأولى في كتب الفلاسفة والمفكرين، بدءا من السفسطائيين، مرورا بأفلاطون، وانتهاء بأرسطو.

أولا: الحجاج التأثيري عند السفسطائيين:

تعتبر أثينا مكانا نموذجيا لنشأة الحجاج وولادة البلاغة الإقناعية في القرن الخامس قبل الميلاد، حيث كان للسفسطائيين إسهام كبير في هذا المجال، ويعتبر "كوراكس Corax" من "البلاغيين الأوائل الذين كتبوا حول بلاغة الإقناع وفكّروا فيها، ودرّبوا المواطنين فن القول والكيفية التي يمكن أن يكونوا بها خطباء مؤثرين"[1]، وإلى جانبه – كوراكس – نجد أيضا "بروتاغوراس" الذي كان يخلق من الحجج الضعيفة حججا قوية قادرة على التأثير في الآخر واستمالته، معتمدين في ذلك على المغالطة والتمويه والتضليل وغيرها من الاستراتيجيات والأساليب الاستدلالية الخاطئة.

اعتنى السفسطائيون بالخطابة عناية فائقة باعتبارها صانعة الإقناع ومحركة الأفعال، فاتخذوا منها مصدرا للعيش، وربطوها بالسلطة، فكان ذلك سببا في احتدام الصراع بينهم وبين الفلاسفة، حيث "جعلوا الخطابة في صدر الصنائع الإنسانية واعتبروا أن الصنائع جميعا من طب وهندسة ومعمار وغيرها لا يمكن أن يتحقق بها للإنسان والمدينة خير أو تردفها سلطة القول"[2]، وهذا دليل بأن الخطابة من

أسمى الفنون وأرقاها، لما لها من قوة التأثير وسلطة التوجيه والإذعان، وفي هذا الاتجاه يقول بدوي عبد الر حمان بأن "جورجياس يفاخر في محاورة أفلاطون المعروفة بهذا الاسم بأنه أقدر من الطبيب على إقناع المريض حتى فيما يخص أمور الصحة"[3]، وهذه إشارة بأن السفسطائيين كانوا معلمي الخطابة بامتياز، رغم الانتقادات والتهم الموجهة إليهم.

يتجلى الحجاج التأثيري السفسطائي في محاولة إقناع الناس بتعلم الخطابة وممارستها، فكانت الغاية من وراء هذا التعليم غاية نفعية يؤجرون عليها، إذ تنقّلوا من مكان لآخر لتقديم الدروس والمحاضرات لأبناء الأغنياء، لكي يصنعوا منهم "خطباء قادرين على إقناع الناس واستهوائهم آنًا بالباطل وآنًا بالحق، كيما يفوزوا بمناصب الدولة وبِ بُعْد الصّيت، وكيما يستطيعوا أن يدافعوا عن أنفسهم ويبرّروا سلوكهم إزاء هجمات الخصوم والمنافسين، وأمام القضاة والجماهير"[4]، فمدار الأمر هنا أن السفسطائيين اهتموا بالوظيفة التأثيرية والإقناعية في محاججاتهم بفضل تمكنهم من اللغة بمختلف علومها، فكانوا أوّل من تلقّى الأجر مقابل التعليم.

تميز السفسطائيون بقدرتهم على الجدل والإقناع، وطريقتهم في استهواء الآخرين واستمالتهم، رغم ما تعرضوا له من تحقير وتهميش، فكانت عنايتهم "بإيراد الحجج الخلابة في مختلف المسائل والمواقف، ومن كانت هذه غايته فهو لا يبحث عن الحقيقة بل عن وسائل الإقناع والتأثير الخطابي، ولم يكن ليتم لهم غرضهم بغير النظر في الألفاظ ودلالاتها، والقضايا وأنواعها، والحجج وشروطها، والمغالطة وأساليبها، فخلفوا في هذه الناحية من الثقافة أثرا حقيقيا بالذكر"[5]، وهذا دليل على براعتهم ونبوغهم في مختلف الميادين، فمنهم من برع في مجال البلاغة والسياسة والأخلاق، ومنهم من نبغ في مجال الفيزياء والتاريخ والرياضيات وغيرها من العلوم التي ساعدتهم على تحقيق مكاسبهم.

ارتبط الحجاج التأثيري السفسطائي بالمغالطات والأساليب التضليلية القائمة على التمويه والخداع، وهذا ما جعل الفلاسفة –على رأسهم أفلاطون– يقفون ضد هذا التيار المنبني على "أمور ومفاهيم ضارة بالقيم والأخلاق واليقين والإيمان، تلك القضايا الأربع التي احتلت مكانة كبيرة في البلاغة والفلسفة الأفلاطونيتين"[6]، ومن هنا يحق لنا أن نتساءل عمّا إذا كانت الأساليب الخطابية التي اعتمدها السفسطائيون في محاججاتهم سببا في تلك الصفات القدحية التي التصقت بأفكارهم، وهمّشت أعمالهم لفترة طويلة من الزمن، بدعوى أنها نوع من أنواع التملق من أجل كسب المال.

يقوم الحجاج المغالط على التأثير في المستمعين واستمالة عواطفهم بإفساد المعاني عن قصد أو بغير قصد، وهو المنهج الذي سلكه السفسطائيون في تعليمهم، حيث درّبوا تلامذتهم على "الغلبة على الخصوم بحق أو بغير حق، بل لقد درّبوهم كيف يزيفون الحق ويقبّحونه، وكيف يزيّنون الباطل ويحسّنونه"[7]، وهذا ما يُعاب عليهم، فانعكس ذلك على جهودهم، وصار حجاجهم عنوانا لأشكال الخداع والتحايل على الجمهور، فكل من صرف حجاجه نحو هذه الأمور تلقى نصيبا من النقد والهجوم.

بنى السفسطائيون حجاجهم أيضا على بعض الاستراتيجيات الإقناعية التي تتوافق مع تصوراتهم "كالتبكيت والإيقاع في الخطأ ومخالفة المشهور، واستعمال صيغ لغوية غير مألوفة (...) والإيهام والأقيسة الخاطئة المخالفة للتوقع، وجعل ما ليس بعلةٍ علة، وذلك ليعرف الناس حيلهم ويكونوا بمنأى عن الوقوع في فخاخهم وتوريطهم ومغالطاتهم"[8]، فكل هذه المسلمات من شأنها أن تؤثر في سلوك المتلقي ورغباته العاطفية، وتعطيل أفكاره حتى يقع في فخ المغالط ويتقبّل أفكاره.

لا ينبغي أن نختزل جهود السفسطائيين في تلك الأساليب التمويهية، والاستراتيجيات التضليلية وغيرها من الصفات السلبية؛ لأن إرثهم وصلنا عن طريق خصومهم، مما أدى إلى تهميش تراثهم وطمس هويتهم، حيث اعتمدوا على المنطوق ولم يهتموا بالمكتوب، فصارت أعمالهم ضحية للمشافهة والمحاضرة، ولم يبقى منها إلا بعض الشذرات، ورغم كل الانتقادات الموجهة إليهم، فهذا لا ينقص من أهمية هذا التيار الذي لعب دورا جوهريا في "تنظيم البنيات التربوية الأساسية في المجالات المختلفة؛ في النحو، والفصاحة، وحتى العلوم،

ولا ننسى تأثيرهم في تطوير الذهنية النقدية"[9]، وقد لا نجانب الصواب إذا قلنا بأن فلسفة أفلاطون وأرسطو تأسست بالتنقيب عن تقديم إجابات لبعض الإشكالات التي طرحها السفسطائيون، فكيف كانت نظرتهما للحجاج التأثيري؟

ثانيا: الحجاج التأثيري عند أفلاطون:

ارتبطت نظرة أفلاطون للحجاج التأثيري بالصراع الذي نشب بينه وبين التيار السفسطائي، حيث هاجم أسلوبهم في تعليم الشباب، ورفض تصوراتهم وأفكارهم، فقدم تصورا عقلانيا للحجاج من خلال محاوراته الشهيرة (جورجياس وفايدروس)، ففي المحاورة الأولى (جورجياس) أعلن رفضه ومعارضته للخطابة بدعوى أنها تعتمد على الرأي والظن، إذ حاول فحصها – الخطابة – "في ضوء المقابلة علم (Science)/ ظنّ (Opinion) وذكر أن الإقناع نوعان: إقناع يعتمد العلم وإقناع يعتمد الظنّ، وهذا الثاني أي الاقناع بالاستناد إلى الظنّ هو موضوع الخطابة السفسطائية في رأيه (...) ولمّا كان العلم يقوم على مبادئ صادقة وثابتة بل أزلية – في تصور القدامى – كان الإقناع المعتمد عليه مفيدا يكتسب منه الإنسان معرفة (Savoir)، ولمّا كان الظنّ يقوم على الممكن (Probable) والمحتمل (Vraisemblable) كان الإقناع المعتمد عليه غير مفيد"[10]، ويرجع سبب معارضة أفلاطون للخطابة هنا إلى قيامها على الظنّ والمحتمل، وليس بمقدورها أن تقدم حقائق علمية وصادقة، بالإضافة إلى اعتمادها على الشكل والأسلوب، وبحثها عن اللذة، فالخطابة السفسطائية إذن – كما ينظر إليها أفلاطون– مصطنعة وزائفة، تعتمد على التلميحات العاطفية الخادعة للتأثير في الجمهور، فما هي الخطابة البديلة التي يقترحها أفلاطون؟

بعد العداء والهجوم الذي مارسه أفلاطون على فن الخطابة في المحاورة السابقة، عاد في محاورة أخرى (فايدروس) للتصالح معها – الخطابة– وإصلاح ما أفسده السفسطائيون بصفة عامة، يقول في هذا السياق: "دعنا يا فايدروس نتحدث وسط هذا الجو المليء بالعبق والجمال الذي يلفنا وسنبحث في قواعد الكتابة والإملاء كما اقترحنا، لذلك أقول إنه قبل أن يستطاع إيجاد أي سؤال عن امتياز الحديث، يجب أن يكون عقل المتكلم مجهزا بمعرفة حقيقة القضية التي تستخدم في محاكم العدل (...) وعليه أن يمتلك فلسفة صحيحة إذا حاول أن يبت بأي موضوع على نحو سليم"[11]، ومن لوازم هذه المصالحة أن أفلاطون حاول إضفاء الطابع الفلسفي على الخطابة، فاشترط على الخطيب أن يكون عارفا بحقيقة القضايا التي يثيرها، وقادرا على التمييز بين الخير والشر .

إن الخطابة التي يقترحها أفلاطون "لا تقتنع بإيهام الجمهور تبعا لأهواء الخطباء بل تلتزم التعبير عن الحقيقة والتوجيه إلى الخير"[12]، فمدار الأمر هنا أن أفلاطون يؤسس لحجاج تأثيري أخلاقي يقوم على معياري العلم والخير، ولمّا أعاد –أفلاطون– النظر في الخطابة وضع لها بعض الأسس والشروط، كالاستعانة بالجدل "ومعرفة أنواع النفوس وما يناسبها من أقاويل، ومعرفة ما يناسب المقامات المختلفة من أساليب"[13].

اعتمد أفلاطون في ممارسته الحجاجية على المنهج الجدلي لمحاربة الظنّ والمحتمل، وبناء المعرفة الحقة، والفكر الفلسفي، فالمجادل يسعى دائما إلى إقناع الجمهور والتأثير فيه عن طريق المناقشة والحوار، ويتم الجدل الأفلاطوني عبر طريقتين مختلفتين، تعتمد الأولى على "جمع الكثرة المبعثرة في مثال واحد بفضل النظرة الشاملة حتى يمكننا الوصول إلى تعريف يوضح الموضوع الذي نريد معرفته"[14]، أما الطريقة الثانية فتعتمد على تقسيم "الموضوع إلى أنواع، وذلك مع مراعاة تفاصيله الطبيعية والحذر من كسر أي جزء منها حتى نتجنب طرق النّحات الرديء"[15]، والملاحظ هنا أن الطريقة الأولى تركز على التأليف، أما الثانية فهي تركز على التقسيم والتفريغ، إذ من خلالهما –الطريقتين– يقوم الحجاج الجدلي مقام الأقسام الخطابية الأخرى.

يقوم الحجاج التأثيري عند أفلاطون على معرفة أصناف النفوس وما يلائمها من أقوال، وهي آلية مهمة من آليات القول الخطابي، فالنفس البشرية –حسب أفلاطون– تنقسم إلى تسع مقامات، حيث جعل نفس الفيلسوف في المرتبة الأولى لكونه يبحث عن الحقيقة، ولهذا نسجل بأن "القول الخطابي الذي أراد أفلاطون تأسيسه هو قول موجه إلى النفس، ومدار هذا القول هو تحقيق الخير والفضيلة

للنفس، فالخطابة عند أفلاطون ليست فضاء تفاعل قولي بين الإنسان والإنسان بما في ذلك من علاقات معقدة ومقاصد مختلفة، وإنما هي فعل قولي أخلاقي"[16]، وهذا يقتضي من الخطيب أن يكون بارعا في اختيار الكلمات، وانتقاء الحجج المناسبة لكل نفس بغية التأثير والإقناع، مع مراعاة سياق الخطاب، ومبدأ التناسب في الكلام.

عموما، يمكن القول بأن إدراك الحجاج التأثيري وفهمه عند أفلاطون يستوجب الإحاطة بالعديد من القيم الفلسفية كالمعرفة، والحب، والخير، والحق، وغيرها من القيم التي من شأنها أن تُسهم في بلوغ الحقائق، وقد ارتبط عنده الحجاج التأثيري بالخطابة، والبلاغة، والإقناع، والجدل، والمناظرة، فهو يقصد حجاجا مثاليا يرتقي بالنفس إلى مراتب عليا من الأخلاق، والفضيلة، وإذا كانت هذه نظرة الأستاذ (أفلاطون) للحجاج التأثيري، فكيف هي نظرة التلميذ (أرسطو)؟ هل اتبع نهجه، وتبنّى مواقفه؟ أم أنه سلك مسلكا مغايرا؟

ثالثا: الحجاج التأثيري عند أرسطو:

يعتبر أرسطو مرجعا مهما في الحقل الحجاجي لمن تبعه من الدارسين، فهو المعلم الأول للخطابة، والمؤسس الفعلي للبلاغة، صحيح أنه تتلمذ على يد أفلاطون لكنه اختلف معه في كثير من المسائل حتى انتهى به الوضع إلى انتقاده كباقي خصومه (السفسطائيون)، النظر في شأن الخطابة، وهدم ما بناه أستاذه من قبله، ولا نبالغ إذا اعتبرناه – أرسطو– أبا روحيا لفن الخطابة، حيث ألف كتبا مهمة في هذا المجال رغم ضياع أغلبها، لكنه لو لم يصل إلينا من مؤلفاته إلا كتاب "**الخطابة**" لكان كافيا لتوضيح منهجه في ميدان الحجاج والبلاغة عموما.

ارتبط الحجاج الأرسطي بوظيفتين أساسيتين هما: التأثير والإقناع، واعتبر الخطابة أداة "للكشف عن الطرق الممكنة للإقناع في أي موضوع كان"[17]، فوظيفة الخطابة حسب هذا التعريف هي البحث عن الوسائل والآليات التي من شأنها التأثير في الغير، ومحاولة إقناعه بشتى الطرق سلبا أو إيجابا، حيث إن التأثير والإقناع – في نظر أرسطو– يحصلان "حين يهيأ المستمعون ويستميلهم القول الخطابي، حتى يشعروا بانفعال ما، لأننا لا نصدر الأحكام على نحو واحد حسبما نحس باللذة أو الألم، والحب والكراهية (...) والخطاب هو الذي ينتج الإقناع حينما نستخرج الصحيح والراجح من كل موضوع يحتمل أن يقع فيه الإقناع"[18]، وهذا يقتضي مراعاة العناصر التي يبنى عليها الخطاب لضمان الوضوح والإفادة بين المتكلم والمستمع، حيث يسعى كل واحد منهما إلى التأثير في الآخر لتغيير اعتقاداته بالحجج والأدلة والكافية.

خصص أرسطو جزءا يسيرا للحجاج التأثيري في كتاب "**الخطابة**"، فهو أول من دافع عن هذا اللون الحجاجي عندما قسّم أطراف التواصل إلى ثلاثة أقسام (الإيتوس Ethos، والباطوس Pathos، واللوغوس Logos)، فعلى كل شخص يسعى إلى التأثير في الآخر وإقناعه أن يلتزم بالحقائق (الشعارات) في خطابه، وأن يتظاهر بالأخلاق (أخلاقيات)، دون إغفاله للجانب العاطفي (الشفقة)، وعلى الأساس يكون الخطيب مقنعا بأخلاقه وفضائله "إذا كان كلامه يُلقى على نحو يجعله خليقا بالثقة، وهذا الضرب من الإقناع، مثل سائر الضروب، ينبغي أن يحدث عن طريق ما يقوله المتكلم، لا عن طريق ما تظنه الناس عن خلقه قبل أن يتكلم"[19]، فالخطيب حسب هذا التصور يشكل محط أنظار الناس واهتمامهم، لذا وجب عليه التحلي بالاستقامة والخلق الحسن بغية التأثير في الآخرين واستمالتهم، ومحاولة فهم مشاعرهم وانفعالاتهم؛ لأن الرسالة في غالب الأحيان تكون موجهة من أجل التأثير في الآخر عن طريق العاطفة، وهنا أرسطو أن "الإقناع يحدث عن الكلام بنفسه، إذا أثبتنا حقيقة أو شبه حقيقة بواسطة حجج مقنعة مناسبة للحالة المطلوبة"[20].

يُكسب الخطيب قوله نوعا من الثقة والمصداقية متى التزم بمجموعة من الصفات والخصال التي تجعل منه حجة مؤثرة تُعار له وتفتح له القلوب، وتميل إليه النفوس، وحدد أرسطو هذه الخصال في الفضيلة، والبر، والسداد، ويؤكد هذا قوله: "فالخطباء يكذبون فيما يقولون أو بصدد ما ينصحون، إذا افتقدوا هذه الخصال الثلاث كلها أو واحدة منها. فإنهم إذا افتقدوا السداد لا يعود رأيهم سليما، وإذا كان رأيهم سليما، فإن شرهم يمنعهم عن الإدلاء به، وإذا كانوا ذوي سداد وفضلاء وغير بارين، فإنهم على الرغم من معرفتهم بما

هو أفضل، لا ينصحون به، وهذه الخصال هي كل الخصال الضرورية حتى إن الخطيب الذي يبدو أنه يتمتع بهذه الخصال الثلاث، سيقنع سامعيه لا محالة"[21]، فامتلاك الخطيب لهذه الخصال يقوي رأيه، ويزيد من فاعليته الحجاجية، وكفاءته في التأثير والإقناع.

يكون الخطاب مؤثرا متى كان الخطيب فصيحا متمكنا تتوفر فيه الشروط والصفات المناسبة، فكم من موضوع مهم يحتاج المناقشة والإثارة ألقاه خطيب ضعيف الإلقاء فضيّعه وانعدمت معه الفائدة والإقناع، وكم من خطاب شَابه النقص من حيث اختيار عناصره أجزائه فقدّمه خطيب بارع فكان مؤثرا يجذب الأسماع، ويستميل القلوب، فينجلي ذلك النقص وتعم الفائدة، لذلك ينبغي للخطيب تقدير أرسطو "أن يكون قادرا على التفكير المنطقي، وعلى فهم الخلق الإنساني والخير في مختلف أشكالهما، وأن يفهم الانفعالات، أعني أن يسميها ويصفها، ويعرف أسبابها، والطرق التي بها تستثار"[22]، فالخطيب الكفؤ هو الذي يسخّر كل إمكاناته لإرضاء المخاطبين بقوة الدليل والحجة.

إذا كان الخطيب (حجة الإيتوس) في منظور أرسطو يمتلك قوة التأثير والاستمالة أثناء الحجاج، فثمة عنصرا أخرا لا يقل عنه أهمية، إنه السامع (حجة الباطوس) الذي يشكل قطب الراحة في أية عملية حجاجية، إذ ينعدم دور العناصر الحجاجية الأخرى في غياب هذا السامع الذي يقوم "على الجذب، والإثارة، والغواية، والإغراء، ودغدغة عواطف الجمهور"[23]، ولهذا يؤكد أرسطو على ضرورة العناية والاهتمام بأحوال السامعين وانفعالاتهم، لتحقيق اقتناعهم واستدراجهم نحو ما يقدمه الخطيب، لذا على كل محاجج أن يتسلح بالآليات والمقومات العاطفية التي من شأنها إثارة الأهواء والانفعالات، يقول أرسطو في هذا الشأن: "والعواطف مصحوبة بالألم أو اللذة، ويحمل تغيرها على تغير الناس في أحكامهم، كالغضب، والرحمة، والخوف، وكل الانفعالات من هذا النوع، وكذلك ما يضادها من انفعالات"[24]، فالأحكام التي تُصدرها في حالة السرور والفرح تختلف عن الأحكام التي تُصدرها في حالة الحزن والغضب، لذلك على الخطيب أن يكون على دراية بالاستعداد النفسي للسامع بحسب الظروف وتغير الأحوال؛ لأن القدرة على التأثير والإقناع تقتضي حسب ميشيل مايير "المعرفة بما يمكن أن يحرك الذات التي نتوجه إليها بالخطاب، أي معرفة ما يحركها (...). إن باتوس الإنسان الحسود على سبيل المثال يجعل المخاطب حساسا أمام ما يملكه الآخرون، ويجعله يحس بالظلم لأنه محروم منه. إننا نستطيع أن نؤثر فيه نظره إلى هذه الفوارق البارزة، وعلى العكس من ذلك، فإن الإنسان السخي سيكون أقل حساسية أمام هذا النوع من الحجج"[25]، ومدار هذا التصور أن الحجاج الانفعالي يتجسد في أبعاد مختلفة يهدف إلى التأثير والاستمالة كلما كان الخطيب بليغا.

إن الحديث عن المقومين السابقين (الإيتوس والباطوس) لا يستقم إلا بحضور المقوم الثالث (اللوغوس)، الذي حضي بعناية تامة في تحليل الخطاب لما له من دور حاسم في اكتشاف هوية المتكلم، فعملية الإقناع "تتوقف على نوعية القول الذي يجب بناؤه حجاجيا، والعمل على تعبئته بالأدلة القادرة على إقامة الاعتقادات أو تغييرها"[26]، فالخطاب أو اللوغوس يضطلع بدور فعال في عملية التخاطب، لذلك اهتم به أرسطو وجعله منطلق التأثير والإقناع.

من بين الآليات التي حددها أرسطو في تعامله مع اللوغوس القياس المضمر والمثال (الشاهد)، رغم ميله الواضح لآلية القياس المضمر، و يؤكد هذا قوله: "إن الخطب التي يغلب فيها استعمال المثال ليست أقل إقناعا، غير أنه يكون لتلك التي يغلب فيها استعمال الضمير تأثير أكبر في السامعين"[27]، لأن الأمثال تصنف حسب أرسطو في خانة المجازات.

تبيّن مما سبق طرحه أن الحجاج التأثيري الأرسطي مرتبط أشد الارتباط بعناصر الاتصال الخطابي الثلاث (الإيتوس، والباطوس، واللوغوس)، وهذه العناصر تتأرجح بين الجانب الأخلاقي، والوجداني، والعاطفي، إنها مرتكزات أساسية لنظريات الحجاج قديما وحديثا، فإذا كان علماء اليونان هم من أرسوا دعائم الدرس الحجاجي لاسيما التأثيري منه، فكيف تعامل المحدثون مع هذا التراث وبعثه في ثوب جديد؟

خاتمة:

انطلاقا مما تقدم يمكن القول بأن للحجاج التأثيري حضور قوي في التراث الغربي القديم، فكان السوفسطائيون أول من اهتم بهذا اللون الحجاجي، حيث وظفوه كأداة للتمويه والتضليل من أجل الحصول على المال والجاه، أما أفلاطون فقد أسس لحجاج تأثيري أخلاقي يقوم على معياري العلم والخير، فهو يقصد حجاجا مثاليا يرتقي بالنفس إلى مراتب عليا من الأخلاق، والفضيلة، في حين نجد أن أرسطو وقف موقفا إيجابيا للدفاع عن الحجاج التأثيري لما اعتبر بأن الخطيب يتوجه للحجاج من أجل استمالة المتلقي والتأثير فيه وجدانيا وعاطفيا، وعليه فالحجاج التأثيري انطلقت أولى ملامحه وتصوراته مع فلاسفة اليونان والإغريق.

الهوامش:

[1] -Alan Jay Zaremba, Speaking professionally, Influence, power and responsibility at the podium, published by routledge, New York, 1st published, 2012, p: 166.

[2]- الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ضمن كتاب أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إشراف حمادي صمود، جامعة الآداب والفنون والعلوم الإنسانية، كلية الآداب، منوبة، تونس، (د.ط)، (د.ت)، ص 55.

[3]- ربيع الفكر اليوناني، عبد الرحمان بدوي، سلسلة الينابيع، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ط 3، (د.ت)، ص 87.

[4]- محاورة جورجياس، أفلاطون، ترجمة محمد حسن ظاظا، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، (د.ط)، 1970م، ص 5.

[5]- تاريخ الفلسفة اليونانية، يوسف كرم، مؤسسة هنداوي للنشر، (د.ط)، 2014م، ص 61 – 62.

[6]- الحجاج في البلاغة المعاصرة بحث في بلاغة النقد المعاصر، محمد سالم محمد الأمين الطلبة، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط 1، 2008م، ص 26.

[7]- البلاغة تطور وتاريخ، شوقي ضيف، دار المعارف، الهيئة العامة لمكتبة الإسكندرية، كورنيش النيل، القاهرة، ط 12، (د.ت)، ص 39.

[8]- تقنيات الحجاج في البلاغة اليونانية القديمة مقاربة لمشروع: السفسطائيين وأفلاطون وأرسطو، شعبان أمقران وحفيظة روابنية، مجلة اللسانيات، المجلد 25، العدد2، 2019م، ص 40.

[9] -Robrieux Jean-Jacques, Eléments de rhétorique et d'argumentation, Dunod, paris, 1993, p: 9.

[10]- الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ص 63.

[11]- المحاورات الكاملة، أفلاطون، ترجمة شوقي داود تمراز، الأهلية للنشر والتوزيع، مج 2، ط 1، 1994م، ص 22.

[12]- فايدروس أو عن الجمال، أفلاطون، ترجمة وتقديم، الدكتورة أميرة حلمي مطر، مكتبة الدراسات الفلسفية، دار المعارف، مصر، القاهرة، ط 1، (د.ت)، ص 11.

[13]- الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ص 80-81.

[14]- جمهورية أفلاطون، أفلاطون، ترجمة: حنا خباز، دار القلم، بيروت، ط 2، 1980م، ص 93.

[15]- نفسه، ص 94.

[16]- الحجاج عند أرسطو، هشام الريفي، ص 79.

[17]- الخطابة، أرسطو، ترجمة عبد الرحمان بدوي، منشورات دار الشؤون الثقافية، وزارة الشؤون الثقافية والإعلام، بغداد، 1986م، ص 29.

[18]- نفسه، ص 16.

[19]- الخطابة، أرسطو، ص 30.

[20]- نفسه.

[21]- نفسه، ص 737.

[22]- نفسه، ص 29 – 30.

[23]- حجاج الخطاب بين النظرية والتطبيق، جميل حمداوي، دار ركاز للنشر والتوزيع، الأردن – اربد، ط 1، 2021م، ص 79.

[24]- الخطابة، أرسطو، ص 81.

[25] -Michel Meyer, (introduction), Aristote, Rhétorique, éd, livre de Poche, 1991, pp: 32- 33.

[26]- الحجاج وتوجيه الخطاب مفهومه ومجالاته وتطبيقات في خطب ابن نباته، باسم خيري خضير، دار صفاء للنشر والتوزيع، عمان، ط 1، 2019م-1440هـ، ص 28.

[27]- الخطابة، أرسطو، ص 45.